

الحلقة الثانية والأربعون

سلسلة أعمال الرسل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا للأحداث المثيرة التي رافقت تأسيس الكنيسة المسيحية، وذلك من خلال كلمة الله المقدسة في سفر أعمال الرسل.

وكنا قد علمنا أن الكنيسة المسيحية بدأت بمعمودية التلاميذ من الروح القدس. وانضمام ثلاثة آلاف شخص إلى الكنيسة في يوم واحد. ثم تعرضت الكنيسة لاضطهاد عظيم واستشهد استفانوس، ونشنت المؤمنين. وبالرغم من ذلك فقد انتشرت المسيحية في مناطق عديدة وتأسست كنائس كثيرة. ونتيجة لرحلات الرسول بولس الثلاث في مدن تركيا واليونان آمن الكثيرون بالمسيح، رغم الاضطهادات الشديدة التي تعرض لها. وألقى اليهود القبض على الرسول بولس، وجرت محاكمته في قيصرية أمام الوالي الروماني فيلكس ثم الوالي فستوس، حيث عجز اليهود على إثبات التهم ضده. فطلب الرسول بولس أن يستأنف دعواه أمام القيصر.

وأتى الملك أغريباس وأخته أفنيكي لزيارة الوالي فستوس، فأعطيت الفرصة لبولس للدفاع عن نفسه. فتحدث عن اختباره وكيف أصبح مسيحياً بأعجوبة، ثم مبشراً بالمخلص المسيح لجميع الأمم. وعندما قال الملك أغريباس لبولس: قليلاً بعد وتفنعي بأن أصير مسيحياً، أجابه بولس: إن صلاتي إلى الله لأجلك ولأجل الحاضرين هنا جميعاً أن تصيروا مثلي، ولكن دون هذه السلاسل. وبما أن الرسول بولس قد رفع دعواه إلى القيصر، فقد تقرر إرساله إلى روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية.

ودون لنا البشير لوقا كاتب سفر أعمال الرسل عن تفاصيل هذه الرحلة، التي اشترك فيها. فكتب قائلاً: « وأخيراً تقرر أن نسافر إلى إيطاليا بحراً، فتولّى حراسة بولس وبعض السجناء الآخرين قائد مئة اسمه يوليوس، ينتمي إلى كتيبة أوغسطس. فركبنا سفينة قادمة من أدراميت، متجهة إلى موانئ مقاطعة آسيا في تركيا. ورافقنا في الرحلة أرسترخس من مدينة تسالونيكي في مقاطعة مقدونية. وفي اليوم التالي وصلنا إلى صيدا. وعامل يوليوس بولس معاملة طيبة، فسمح له بأن يزور أصدقاءه في صيدا ليتلقى منهم ما يحتاج إليه. ويوليوس هذا هو قائد المئة المسؤول عن بولس والسجناء.»

ثم تابع البشير لوقا قائلا: « وأقلعنا من ميناء صيدا، وسافرنا بمحاذاة شواطئ جزيرة قبرص، لأن الريح كانت عكس اتجاه سيرنا. وعبرنا البحر المجاور لمقاطعتي كيليكية وبمفيلية، ووصلنا إلى ميناء ميرا في مقاطعة ليكية. وكلها مقاطعات تقع في تركيا. وهناك وجد قائد المئة سفينة قادمة من الإسكندرية متجهة إلى إيطاليا فأصعدنا إليها. وسافرت السفينة على مهل لعدة أيام، واقتربنا من شاطئ كنيديس، بعد جهد. ولكن الريح منعتنا من دخول الميناء فلم نقدر أن ننزل هناك. فسافرنا على مقربة من شاطئ جزيرة كريت، مروراً بالقرب من رأس سلموني. وتابع لوقا قائلا: وبعد جهد وصلنا إلى مكان يدعى الموانئ الجميلة بالقرب من مدينة لسائية في كريت، وقضينا هناك مدة طويلة، حتى مضى الصيف وأصبح السفر في البحر خطرا، إذ كان الصوم أيضا قد مضى».

لم تكن السفن في ذلك الوقت تسير بالبوصلة بل تسترشد بالنجوم. وكان الطقس الملبد بالغيوم يجعل الإبحار شبه مستحيل، بل وخطيرا جدا. وكانوا وقتها في شهر أكتوبر (تشرين الأول) من عام ٥٩ ميلادية. لهذا نصح الرسول بولس بحارة السفينة قائلا: « أيها الرجال، أرى في سفرنا الآن خطرا وخسارة عظيمة، لا على السفينة وحمولتها فقط، بل على حياتنا أيضا. على أن قائد المئة كان يميل إلى كلام ربان السفينة وصاحبها، لا إلى كلام بولس. وبما أن الميناء هناك لم يكن صالحا لقضاء فصل الشتاء، فقد قرر معظم البحارة أن يغادروه. على أمل أن يصلوا إلى ميناء فينكس لقضاء الشتاء فيه. وقد كان ميناء فينكس في جزيرة كريت يواجه الجنوب والشمال الغربيين. وهبت ريح خفيفة من الجنوب، فظن البحارة أنها ستدفعهم نحو فينكس، فرفعوا المرساة وأبحروا على مقربة من شاطئ كريت».

تابع البشير لوقا فقال: « وبعد قليل، بينما نحن مبحرين هبت ريح عاصفة تُعرف بالشمالية الشرقية. فاندفعت السفينة ولم تقو على مقاومة الريح، فاستسلمنا. وحملتنا العاصفة إلى مكان قريب من جزيرة صغيرة اسمها كودا. وبعد جهد استطعنا أن نرفع قارب النجاة إلى ظهر السفينة. ثم أسرع البحارة باتخاذ الإحتياطات الضرورية، فشدوا وسط السفينة بالحبال. وخوفا من الاتجراف إلى شواطئ الرمال المتحركة، أنزلوا الأشرعة والحبال، فأصبحت الريح تدفع السفينة. وفي اليوم التالي اشتدت علينا العاصفة، فأخذوا يخفون من الحمولة. وفي اليوم الثالث رموا أثاث السفينة بأيديهم. وكانت العاصفة تشتد يوما بعد يوم، حتى أننا لم نرى الشمس ولا النجوم عدة أيام، فانقطع كل أمل في النجاة.

وكان المسافرون قد امتنعوا مدة طويلة عن تناول الطعام، فتقدم بولس إليهم وقال: أيها الرجال، كان يجب أن تسمعوا كلامي ولا تقلعوا من كريت. فتسلموا من هذا الخطر والخسارة. ولكني الآن أدعوكم لتطمئنوا، فلن يفقد أحد منكم حياته. ولكن السفينة وحدها ستتحطم. فقد ظهر لي هذه الليلة ملاك من عند الله الذي أنا له وإياه أخدم. وقال لي: لا تخف يا بولس. فلا بد أن تمثل أمام القيصر. وقد وهبك الله حياة جميع المسافرين معك. فاطمئنوا أيها الرجال، لأنني أو من بالله وبأن ما قاله لي سيتم. ولكن لا بد أن تجنح السفينة إلى إحدى الجزر».

لقد امتنع المسافرون مدة طويلة عن تناول الطعام، إذلالا لأجسادهم وطلبا من آلهتهم أن تنقذهم من خطر الموت. لكن الرسول بولس ورفقائه كانوا يعلمون أن حياتهم هي بين يدي الله خالق السموات والأرض. وتؤكد بولس أن الله الذي أجرى معه أعجوبة الخلاص، وجعله مبشرا، لن يسمح أن تتعرض حياته للخطر، وأنه لا بد أن يمثل أمام القيصر. وهو ما أكده الملاك الذي ظهر له، مطمئنا بنجاته ونجاة جميع المسافرين معه. وهذا يؤكد لنا مدى حماية الله لأولاده المؤمنين وسط الأخطار.

وتابع البشير لوقا قائلا: « وفي منتصف الليلة الرابعة عشرة، والرياح تحملنا في بحر أدريا إلى حيث لا ندري، ظن البحارة أنهم يقتربون من البر. فقاسوا عمق المياه فوجدوه عشرين قامة. وبعد قليل قاسوا العمق فوجدوه خمس عشرة قامة. وخافوا أن تجنح السفينة إلى الصخور، فألقوا من مؤخرها أربع مراس، منتظرين طلوع الصباح. كانت الأعماق تقاس بإلقاء ثقل من رصاص مربوط بحبل به طول معين وعندما يصل ثقل الرصاص إلى القاع، يقدر البحارة أن يعرفوا عمق المياه من العلامات الموجودة على الحبل.

وحاول البحارة أن يهربوا من السفينة، فأنزلوا قارب النجاة بحجة أنهم سيلقون المراسي من مقدم السفينة. فقال بولس لقائد المئة والجنود: إذا لم يبق هؤلاء البحارة في السفينة فلن ننجوا. فقطع الجنود حبال قارب النجاة وتركوه يسقط في الماء. ولما اقترب طلوع الصباح، طلب بولس إلى الجميع أن يأكلوا وقال: مرت أربعة عشر يوما وأنتم لم تأكلوا شيئا. فأدعوكم إلى تناول الطعام، لأنه يساعدكم على النجاة. فلن يفقد أحد منكم شعرة من رأسه. ثم أخذ رغيفا وشكر الله أمام الجميع، وكسره وأبتدأ يأكل. فاطمأنوا كلهم وأكلوا. هنا نجد ثقة بولس الكاملة في حفظ الله للجميع. وعندما شبعوا رموا بالقمح في البحر ليخففوا من حمولة السفينة. وكان عدد المسافرين في السفينة مئتين وستة وسبعين نفسا» (أعمال الرسل ٢٧: ١-٣٧)

سنتابع مستمعي العزيز في اللقاء القادم رحلة الرسول بولس المثيرة هذه إلى روما.